العدد 4 No 4
2026 تموز July 2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن
جامعة ساوة الاهلية

أحوال المرأة في المجتمع الموصلي خلال العصر الأتابكي -660–521هـ / 1127–1262م

م.د سمر طاهر عصفور
مديرية تربية ديالى / ثانوية الاميرات للمتفوقات
Samartaher2@gmail.com

ملخص البحث

يتناول هذا البحث أحوال المرأة في المجتمع الموصلي إبّان العصر الأتابكي (الزنكي) الممتد من سنة 521هـ/1127م حتى سنة 660هـ/1262م تقريبًا، ويسعى إلى الكشف عن أدوار المرأة الموصلية في الحياة الاجتماعية والأسرية والعلمية والسياسية والاقتصادية، مستندًا إلى المنهج التاريخي الوصفي التحليلي. يعرض البحث الإطار التاريخي والسياسي الذي نشأت فيه الدولة الأتابكية في الموصل، ويحلل التركيبة الاجتماعية للمجتمع الموصلي بتنوعه العرقي والديني، ثم يتقصّى الأحوال الاجتماعية للمرأة من حيث الزواج والمهور والعادات الأسرية، ويبحث في مشاركتها في الحياة العلمية عبر رواية الحديث وحضور حلقات العلم وإنشاء المدارس والأوقاف. كما يسلّط الضوء على الدور السياسي لنساء البلاط الأتابكي كزمرد خاتون وعصمت الدين خاتون، ويرصد النشاط الاقتصادي للمرأة في مجالات الحرف والملكية والوقف. وخلص البحث إلى أنّ المرأة الموصلية في العصر الأتابكي حظيت بحضور ملحوظ في الفضاء العام رغم محدودية ما أفردته لها المصادر التاريخية من مساحة مستقلة.

الكلمات المفتاحية : المرأة – الموصل – العصر الأتابكي – الدولة الزنكية – الحياة الاجتماعية.

Women’s Conditions in Mosul Society during the Atabeg Period - (521–660 AH / 1127–1262 AD)

Dr. Samar Taher Asfour Salman
Diyele Education Directorate / princesses High School for Out standing Students
Samartaher2@gmail.com

Abstract

This study examines the conditions of women in Mosul society during the Atabeg (Zengid) period, extending from 521 AH/1127 AD to approximately 660 AH/1262 AD. It seeks to uncover the roles played by women of Mosul in social, familial, intellectual, political, and economic life, employing the descriptive-analytical historical method. The research presents the historical and political framework in which the Atabeg state was established in Mosul, analyzes the social composition of Mosul’s ethnically and religiously diverse society, and then investigates the social conditions of women regarding marriage, dowries, and family customs. It also examines women’s participation in intellectual life through hadith transmission, scholarly circles, and the establishment of schools and endowments (awqāf). Furthermore, the study highlights the political role of women of the Atabeg court, such as Zumurrud Khātūn and ʿIṣmat al-Dīn Khātūn, and traces women’s economic activities in crafts, property ownership, and endowment administration. The study concludes that women in Atabeg Mosul enjoyed a notable presence in public life, despite the limited independent space accorded to them in historical sources.

Keywords: Women – Mosul – Atabeg Period – Zengid Dynasty – Social Life.

المقدمة

العدد 4 No 4
تموز 2026 July 2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن
جامعة ساوة الاهلية

شكّلت مدينة الموصل على امتداد العصور الإسلامية حاضرةً حضاريةً بارزة، اكتسبت مكانتها من موقعها الاستراتيجي على ضفاف دجلة في قلب الجزيرة الفراتية، ومن تعاقب دول وإمارات عليها جعلتها محورًا سياسيًا وثقافيًا فاعلًا في المشرق الإسلامي. وقد بلغت الموصل ذروة ازدهارها الحضاري مع قيام الدولة الأتابكية (الزنكية) فيها منذ أن تولّى عماد الدين زنكي بن آق سنقر حكمها سنة 521هـ/1127م، وحتى سقوطها بيد المغول بعد خضوع بدر الدين لؤلؤ لهولاكو نحو سنة 660هـ/1262م. وخلال هذه الحقبة الطويلة التي تقارب قرنًا ونصف القرن، شهدت الموصل حركة عمرانية وعلمية واسعة، انعكست على مختلف مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

غير أنّ المصادر التاريخية التي وثّقت أحداث هذا العصر، على كثرتها وغناها، ركّزت بصورة أساسية على الجانب السياسي والعسكري، وأفردت حيّزًا محدودًا للحياة الاجتماعية عمومًا، وأحوال المرأة خصوصًا. فالحوليات التاريخية وكتب التراجم لم تعتنِ في الغالب بتدوين أخبار النساء إلا حين تقاطعت مع الأحداث السياسية الكبرى أو حين تميّزن بنشاط علمي أو وقفي استثنائي. وهذا الصمت النسبي لا يعني بالضرورة غياب المرأة عن الحياة العامة، بقدر ما يعكس طبيعة التأليف التاريخي في تلك الحقبة وأولوياته.

أهمية البحث :تنبع أهمية هذا البحث من كونه يحاول استخلاص صورة للمرأة الموصلية في عصر شهد تحولات سياسية وحضارية عميقة، وذلك من خلال قراءة ما بين سطور المصادر الأولية واستنطاق الإشارات المتناثرة فيها. كما يسعى إلى ملء فراغ بحثي واضح، إذ إنّ الدراسات المعاصرة التي تناولت الدولة الأتابكية ركّزت على الجوانب السياسية والعسكرية والمعمارية، في حين ظلّت الحياة الاجتماعية للمرأة بعيدة عن التناول المعمّق.

مشكلة البحث وتساؤلاته :يحاول البحث الإجابة عن جملة من التساؤلات، أبرزها: ما طبيعة الأحوال الاجتماعية والأسرية التي عاشتها المرأة الموصلية في العصر الأتابكي؟ وما مدى مشاركتها في الحياة العلمية والثقافية؟ وهل مارست نساء البيت الأتابكي دورًا سياسيًا مؤثرًا؟ وما حجم النشاط الاقتصادي للمرأة الموصلية في ميادين الحرف والتجارة والوقف؟

أهداف البحث :يهدف هذا البحث إلى رصد أحوال المرأة في المجتمع الموصلي خلال العصر الأتابكي عبر محاورها المختلفة: الاجتماعية والعلمية والسياسية والاقتصادية، وتحليل هذه الأحوال في سياقها التاريخي، والكشف عن العوامل التي أسهمت في تشكيل مكانة المرأة ودورها في ذلك المجتمع.

منهج البحث :اعتمد البحث المنهج التاريخي الوصفي التحليلي، القائم على جمع الروايات والإشارات المتصلة بالمرأة من المصادر التاريخية الأولية والمراجع الحديثة، ثم تصنيفها وتحليلها ومقارنتها للوصول إلى استنتاجات مدعومة بالأدلة النصّية.

أبرز المصادر والمراجع :يعتمد البحث على طائفة من المصادر الأولية ذات الصلة المباشرة بموضوعه، في مقدمتها كتابا ابن الأثير (ت 630هـ): "الكامل في التاريخ" و"التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل"، وكلاهما يمثّل مصدرًا أساسيًا بحكم معاصرة مؤلفه للعصر الأتابكي ونشأته في الموصل ذاتها. ويُضاف إليهما كتاب "خريدة القصر وجريدة العصر" لعماد الدين الأصفهاني (ت 597هـ)، و"وفيات الأعيان" لابن خلكان (ت 681هـ)، و"مرآة الزمان" لسبط ابن الجوزي (ت 654هـ)، و"معجم البلدان" لياقوت الحموي (ت 626هـ)، و"الروضتين في أخبار الدولتين" لأبي شامة المقدسي (ت 665هـ). أما المراجع الحديثة، فأبرزها كتاب سعيد الديوه جي "الموصل في العهد الأتابكي"، وكتاب علي محمد الصلابي "الدولة الزنكية"، ومؤلفات عماد الدين خليل عن تاريخ الموصل، فضلًا عن دراسة نيكيتا إليسيف (Nikita Elisséeff) الموسوعية عن نور الدين زنكي.

المبحث الأول: الإطار التاريخي والسياسي

نبذة عن الموصل في العصر الأتابكي ومكانتها الحضارية

العدد 4 No 4
تموز 2026 July 2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن جامعة ساوة الاهلية

بدأ العصر الأتابكي في الموصل حين أقرّ الخليفة العباسي المسترشد بالله والسلطان السلجوقي محمود بن محمد تولية عماد الدين زنكي بن آق سنقر إمارة الموصل سنة 521هـ/1127م.[1] واتّخذ عماد الدين من الموصل قاعدة لمشروعه العسكري والسياسي الذي امتدّ ليشمل حلب وأجزاء واسعة من الشام والجزيرة، فغدت المدينة عاصمة لإمارة مترامية الأطراف.[2] وقد وصف ابن الأثير الموصل في عهد الزنكيين بأنها كانت "دار الملك ومجمع العساكر"،[3] مما يعكس مركزيتها السياسية والعسكرية.

شهدت الموصل في ظلّ الحكم الأتابكي نهضة عمرانية واسعة، تجلّت في بناء الجوامع والمدارس والربط والبيمارستانات والأسوار. فقد أمر نور الدين محمود بن زنكي (ت 569هـ/1174م) ببناء الجامع النوري الكبير ومنارته الحدباء الشهيرة، كما أنشأ عدة مدارس لتدريس المذاهب الفقهية.[4] واستمرت هذه الحركة العمرانية في عهود خلفائه من أمراء الموصل، ولا سيما في عهد بدر الدين لؤلؤ (ت 657هـ/1259م) الذي عُرف برعايته للفنون والعمران.[5]

التركيبة الاجتماعية للمجتمع الموصلي

تميّز المجتمع الموصلي في العصر الأتابكي بتنوّعه العرقي والديني، فقد ضمّ عناصر عربية وكردية وتركمانية، إلى جانب جاليات من التجار الفُرس وغيرهم. وكان المسلمون يشكّلون الأغلبية الساحقة، مع وجود طوائف مسيحية عديدة ذات حضور قديم في المنطقة، إذ أشار ياقوت الحموي إلى تعدّد الكنائس والأديرة في الموصل وأطرافها.[6] أما الطبقات الاجتماعية، فتراوحت بين طبقة الأمراء والعسكريين التي هيمنت على مفاصل السلطة، وطبقة العلماء والفقهاء والقضاة التي حظيت باحترام كبير، ثم طبقة التجار والحرفيين التي أسهمت في ازدهار الحياة الاقتصادية، وأخيرًا عامّة الناس من الفلاحين والعمال[7]

البيئة العامة التي عاشت فيها المرأة الموصلية

عاشت المرأة الموصلية في بيئة حضرية نشطة، تشكّلت ملامحها من تفاعل عوامل عدّة: الموروث الإسلامي بمذاهبه الفقهية التي حكمت أحوال المرأة الشرعية، والأعراف المحلية المتوارثة، والتأثيرات التركية القادمة مع الحكّام الأتابكيين وأسرهم. ويستشفّ الباحث من سياق الروايات التاريخية أنّ النساء من الطبقات العليا، ولا سيما نساء البيت الحاكم، تمتّعن بمساحة أوسع من الحركة والتأثير مقارنةً بنساء العامة. غير أنّ المصادر لا تُسعف في رسم صورة تفصيلية لحياة نساء الطبقات الدنيا، إذ كان اهتمام المؤرخين ينصبّ على ذوات الشأن من نساء البلاط والأسر العلمية والدينية[8]

المبحث الثاني: الأحوال الاجتماعية والأسرية للمرأة الموصلية

الزواج والمهور وعادات الأعراس

خضعت أحكام الزواج في المجتمع الموصلي الأتابكي للشريعة الإسلامية وفق ما استقرّت عليه المذاهب الفقهية السائدة في الموصل، ولا سيما المذهب الشافعي والحنفي اللذان انتشرا بفضل المدارس التي أنشأها الأتابكيون.[9] وكان الزواج يتمّ في العادة بترتيب من الأسرتين، وتتفاوت المهور تفاوتًا كبيرًا بحسب المكانة الاجتماعية للعائلتين. ففي أوساط الطبقة الحاكمة، كانت الزيجات تكتسي طابعًا سياسيًا واضحًا، إذ وظّف أمراء الأتابكيين المصاهرة أداةً لتوطيد التحالفات. ومن أبرز الأمثلة على ذلك زواج عماد الدين

(1) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1997م)، ج10، ص 600.
(2) ابن الأثير، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق: عبد القادر أحمد طليمات، (القاهرة: دار الكتب الحديثة، 1963م)، ص 28.
(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج11، ص 78.
(4) سعيد الديوه جي، الموصل في العهد الأتابكي، (الموصل: مطبعة الجمهور، ط2، 1982م)، ص 183.
(5) ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، 1977م)، ج5، ص 175.
(6) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله، معجم البلدان، (بيروت: دار صادر، 1977م)، ج5، ص 223.
(7) سعيد الديوه جي، الموصل في العهد الأتابكي، مصدر سابق، ص 68.
(8) علي محمد الصلابي، الدولة الزنكية ونجاح المشروع الإسلامي بقيادة نور الدين محمود الشهيد في مقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، (بيروت: المكتبة العصرية، 2007م)، ص 425.
(9) سعيد الديوه جي، الموصل في العهد الأتابكي، مصدر سابق، ص 190.

العدد 4 No 4
تموز 2026 July 2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن جامعة ساوة الاهلية

زنكي من زمرد خاتون بنت جاولي (صاحبة دمشق والأميرة البورية) سنة 533هـ/1138م تقريبًا، وكان زواجًا سياسيًا بالدرجة الأولى سعى من خلاله عماد الدين إلى ضمّ دمشق سلميًا إلى حلب والموصل.[1] وكذلك زواج نور الدين محمود بن زنكي من عصمت الدين خاتون بنت معين الدين أنر (حاكم دمشق الفعلي) سنة 541هـ/1147م، وهو زواج عقده معين الدين أنر لتوثيق التحالف مع نور الدين في مواجهة الصليبيين.[2]

أما في أوساط عامة الناس، فلا تمدّنا المصادر بتفاصيل وافية عن عادات الأعراس والمهور، وهذا أمر مألوف في التأليف التاريخي الكلاسيكي الذي لم يهتمّ برصد الحياة اليومية للطبقات الشعبية. ولعلّ صمت المصادر عن هذا الجانب يُفسَّر بأنّ أنماط الزواج بين العامة لم تختلف اختلافًا جوهريًا عمّا كان سائدًا في المدن الإسلامية الأخرى في الجزيرة الفراتية والعراق خلال تلك الحقبة.

مكانة المرأة في الأسرة الموصلية

احتلّت الأمّ مكانة محورية في الأسرة الموصلية، ويتبدّى ذلك من الإشارات التي تتناثر في المصادر حول تأثير الأمهات في تنشئة أبنائهن وتوجيههم. فقد أشار ابن الأثير إلى دور أم سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي في حفظ الإمارة لابنها بعد مقتل أبيه سنة 541هـ/1146م، حين تحرّكت بسرعة لتأمين ولاء القادة العسكريين والحفاظ على تماسك الإمارة.[3] وتكشف هذه الإشارة عن قدرة نساء البيت الأتابكي على التصرف بحنكة سياسية في لحظات الأزمات.

أما الزوجة، فكان لها دور أساسي في إدارة الشؤون المنزلية، وفي بعض الحالات تعدّت صلاحياتها ذلك إلى إدارة الأملاك والأوقاف. ويُلاحظ أنّ نظام الحريم الذي ساد في القصور الأتابكية لم يمنع النساء من ممارسة تأثيرهن عبر قنوات غير مباشرة، كالتأثير في قرارات الأمير من خلال مجالسه الخاصة، أو من خلال الوساطة بين الأطراف المتنازعة.[4]

العلاقات الاجتماعية والتقاليد والأعراف

تأثّرت العلاقات الاجتماعية للمرأة الموصلية بمزيج من العادات العربية والتقاليد التركية التي حملها الأتابكيون معهم. فقد لاحظ عدد من الباحثين أنّ المرأة التركية في العصور الإسلامية الوسطى تمتّعت عمومًا بمساحة أكبر من الحرية الاجتماعية مقارنة بنظيرتها العربية.[5] ويمكن افتراض أنّ هذا التأثير التركي انعكس على نساء البلاط الأتابكي في الموصل، فنجد إشارات إلى مشاركة الخواتين (جمع خاتون) في المناسبات العامة والاحتفالات، فضلًا عن حضورهن في مواقف سياسية حسّاسة. غير أنّ هذا الحضور ظلّ مرتبطًا في الغالب بالطبقة الحاكمة، ومن غير اليسير تعميمه على سائر نساء المجتمع الموصلي.

اللباس والزينة وأنماط الحياة اليومية

لا تُقدّم المصادر التاريخية الأولية المتاحة وصفًا تفصيليًا للباس المرأة الموصلية في العصر الأتابكي، لكنّ ياقوت الحموي الذي زار الموصل في أوائل القرن السابع الهجري أشار إلى رخاء أهلها وكثرة الأسواق فيها.[6] واشتُهرت الموصل بصناعة الأقمشة، ولا سيما الموسلين (Muslin) الذي اشتُقّ اسمه من اسم المدينة ذاتها، وهي أقمشة رقيقة فاخرة كانت تُصدَّر إلى أنحاء واسعة من العالم الإسلامي. ويُرجَّح أنّ نساء الطبقات الميسورة استفدن من هذا الإنتاج المحلي في تنويع ملابسهن وزينتهن. وقد أشار الديوه جي

---

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج11، ص 35. وينظر أيضًا: ابن الأثير، التاريخ الباهر، مصدر سابق، ص 54.

(2) سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزأوغلي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: إبراهيم الزيبق، (دمشق: دار الرسالة العالمية، ط1، 2013م)، ج20، ص 268.

(3) ابن الأثير، التاريخ الباهر، مصدر سابق، ص 76.

(4) علي محمد الصلابي، الدولة الزنكية، مصدر سابق، ص 430.

(5) Nikita Elisséeff, Nūr ad-Dīn: Un Grand Prince Musulman de Syrie au Temps des Croisades (511-569 H./1118-1174), (Damascus: Institut Français de Damas, 1967), Vol. 2, p. 724.

(6) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر سابق، ج5، ص 224.

مجلة محكمة تصدر عن جامعة ساوة الاهلية
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
العدد 4 No 4
تموز 2026 July 2026

إلى ازدهار أسواق الموصل في هذا العصر بالعطور والأقمشة والحلي، مما يعكس اهتمامًا مجتمعيًا واضحًا بالزينة والمظهر[1].

المبحث الثالث: الأحوال العلمية والثقافية للمرأة

مشاركة المرأة في الحياة العلمية

أسهمت الحركة العلمية الواسعة التي شهدتها الموصل في العصر الأتابكي في إتاحة فرص معينة للمرأة للمشاركة في التعليم وتلقّي العلم، وإن ظلّ هذا الحضور محدودًا بالمقاييس الكمّية. فقد برزت الموصل مركزًا مهمًا لعلوم الحديث والفقه والأدب، بفضل المدارس الكثيرة التي أنشأها الأتابكيون ورجال دولتهم.[2] وكانت المرأة تتلقّى العلم في أغلب الأحيان عبر الحلقات الخاصة أو في المنزل من خلال آبائها وإخوتها من أهل العلم، كما كان بعضهن يحضرن مجالس الإملاء والسماع في المساجد الكبرى.

يُعدّ ميدان رواية الحديث النبوي الشريف من أبرز المجالات التي أثبتت فيها المرأة المسلمة حضورها عبر العصور، والموصل لم تكن استثناءً في هذا الشأن. فقد كانت الموصل محطّةً للمحدّثين والرحّالة في طلب العلم، وبعض هؤلاء سمع من شيخات ومحدّثات.[3] ويُستشفّ من تراجم بعض علماء الموصل في كتب التراجم إشارات إلى نساء روَين الحديث أو أجزن بالرواية، وإن كان التوثيق التفصيلي لأسمائهن ومروياتهن يظلّ ناقصًا. ولعلّ هذا النقص يعود جزئيًا إلى أنّ كتب التراجم الموصلية المتخصصة التي كان يمكن أن تحفظ لنا سير هؤلاء النساء قد ضاع كثير منها.

وهنا تبرز إشكالية منهجية تتعلق بالتمييز بين "الحضور الفعلي" للمرأة في الحياة العلمية و"التوثيق المصدري" لهذا الحضور. فغياب المرأة من المصادر لا يعني بالضرورة غيابها عن الواقع التعليمي، لكنّ الباحث مُلزَم بالتعامل مع ما هو مُوثَّق وما يمكن استنباطه من القرائن النصّية المتاحة.

نماذج من النساء العالمات والأديبات

رغم شُحّ الإشارات المباشرة في المصادر، يمكن رصد بعض النماذج النسائية التي ارتبطت بالبيئة العلمية الموصلية أو بالمحيط الأتابكي عمومًا. فقد أشار عماد الدين الأصفهاني في "خريدة القصر" إلى عدد من الأديبات والشاعرات في البلاط الأتابكي وما حوله.[4] وعُرفت زمرد خاتون بنت جاولي (ت 557هـ/1162م)، زوجة عماد الدين زنكي، بصلاحها وعلمها، فقد "قرأت القرآن على أبي محمد بن طاوس وأبي بكر القرطبي، وسمعت الحديث من نصر بن إبراهيم المقدسي وغيره"،[5] مما يكشف عن مستوى رفيع من التعليم الديني حظيت به هذه الأميرة.

وتنتمي عصمت الدين خاتون بنت معين الدين أنر (ت 581هـ/1186م)، زوجة نور الدين ثم زوجة صلاح الدين الأيوبي، إلى هذا المحيط الأتابكي وإن لم تكن موصلية الأصل. فقد وُصفت بأنها كانت "من أعفّ نساء عصرها وأجلّهن وأوفرهنّ حشمة مع الصلاح والتقوى"[6] واشتُهرت بقيام الليل والعبادة، فضلًا عن اهتمامها بالأوقاف والمؤسسات الخيرية. ورغم أنّ نشاطها ارتبط بدمشق أكثر من الموصل، إلا أنها تمثّل نموذجًا واضحًا للمرأة في المحيط الأتابكي الزنكي.

دور المرأة في الأوقاف والمؤسسات الدينية والتعليمية

شكّل الوقف في العصر الأتابكي أداةً محورية لتمويل المؤسسات التعليمية والدينية والاجتماعية، وأسهمت المرأة في هذا النشاط الوقفي بصورة لافتة. فقد شهدت الموصل وإقليمها في هذا العصر إنشاء عشرات

---

(1) سعيد الديوه جي، الموصل في العهد الأتابكي، مصدر سابق، ص 103.
(2) سعيد الديوه جي، الموصل في العهد الأتابكي، مصدر سابق، ص 188.
(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج12، ص 340.
(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج12، ص 340.
(5) عماد الدين الأصفهاني، محمد بن محمد، خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء العراق، تحقيق: محمد بهجة الأثري وجميل سعيد، (بغداد: المجمع العلمي العراقي، 1955م)، ج2، ص 170.
(6) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (القاهرة: دار هجر، ط1، 1997م)، ج16، ص 230. وينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: عمر العمروي، (بيروت: دار الفكر، 1995م)، ج69، ص 185.

مجلة محكمة تصدر عن جامعة ساوة الاهلية
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
العدد 4 No 4
تموز 2026 July 2026

المدارس، أسهمت بعض نساء البيت الحاكم في تمويلها أو وقف الأموال عليها[1] ويذكر الديوه جي أنّ بعض مدارس الموصل حملت أسماءً تُشير إلى واقفات من نساء البيت الأتابكي أو أسر الأمراء.[2]
وقد بنت زمرد خاتون بنت جاولي مسجدًا يُعرف بـ"مسجد خاتون" في دمشق ووقفت عليه أوقافًا كثيرة،[3] وهو ما يعكس نمطًا عامًا لدى نساء الطبقة الحاكمة في توظيف الوقف أداةً للتعبير عن حضورهن الاجتماعي والديني. ومن خارج الموصل لكن من البيئة الزنكية الأتابكية ذاتها، نجد أنّ ست الشام (فاطمة خاتون بنت نجم الدين أيوب، أخت صلاح الدين) أنشأت المدرسة الشامية البرّانية والمدرسة الشامية الجوّانية في دمشق[4]، وهو نموذج يكشف عن تقليد راسخ لدى نساء العائلات الحاكمة في تلك الحقبة. ويمكن القول إنّ النموذج الموصلي لم يكن بعيدًا عن هذا التقليد، وإن كانت المصادر لم تحفظ لنا تفاصيله بالقدر الكافي.

المبحث الرابع: الأحوال السياسية والاقتصادية للمرأة

دور نساء البيت الأتابكي في السياسة والحكم

لم يقتصر دور نساء البيت الأتابكي على الحياة الخاصة داخل جدران القصور، بل تجاوز ذلك إلى المشاركة الفعلية في صناعة القرار السياسي، ولو بصورة غير رسمية في أغلب الأحيان. وقد وفّر النظام التركي السلجوقي، الذي ورثه الأتابكيون، مساحة أوسع نسبيًا لتأثير النساء في السياسة مقارنةً بما عُرف في البلاطات العربية التقليدية.[5] ويمكن رصد عدة نماذج بارزة في هذا الإطار:

زمرد خاتون بنت جاولي (ت 557هـ/1162م) :تُعدّ من أبرز الشخصيات النسائية في المحيط الأتابكي. كانت بنت الأمير جاولي بن أوق من أمراء السلاجقة، وأختًا للملك دقاق صاحب دمشق لأمّه، ثم صارت زوجةً لبوري بن طغتكين أمير دمشق، وأمًّا لشمس الملوك إسماعيل وشهاب الدين محمود. مارست زمرد خاتون نفوذًا سياسيًا ملموسًا في دمشق خلال إمارة أبنائها، حتى إنّ ابن الأثير أشار إلى تدبيرها مقتل ابنها شمس الملوك إسماعيل سنة 529هـ/1135م لمّا طغى وأفرط في الظلم وهمّ بقتلها.[6] ثم تزوّجت من عماد الدين زنكي في إطار محاولته ضمّ دمشق، لكنّ الزواج لم يستمر طويلًا وعادت إلى دمشق.[7] وبعد انتهاء حكم البوريين في دمشق سنة 549هـ/1154م، تدهورت أحوالها وصُودرت أملاكها، فانتقلت إلى مكة ثم المدينة، وكانت "تغربل القمح والشعير وتتقوّت بأجرتهما" حتى توفيت بالمدينة ودُفنت بالبقيع.[8] ويستشفّ الباحث من هذه الرواية أنّ المرأة في العصر الأتابكي، حتى لو كانت من أعلى الطبقات، كانت عرضة لتقلبات الحظّ السياسي التي قد تنتهي بها إلى أدنى درجات العوز المادي.

عصمت الدين خاتون بنت معين الدين أنر (ت 581هـ/1186م) :ارتبطت بالمشروع الزنكي من خلال زواجها بنور الدين محمود بن زنكي سنة 541هـ/1147م. وقد أدّى هذا الزواج دورًا سياسيًا محوريًا في توثيق العلاقة بين نور الدين وبين حكّام دمشق البوريين، مما مهّد في نهاية المطاف لضمّ دمشق إلى الدولة الزنكية سنة 549هـ/1154م.[9] ولم تقتصر مكانة عصمت الدين على كونها زوجة الحاكم، بل كانت تتمتع بشخصية مستقلة وحضور معنوي رفيع. وبعد وفاة نور الدين سنة 569هـ/1174م، تزوّجها صلاح الدين الأيوبي سنة 572هـ/1176م، وهو ما يكشف عن أنّ المصاهرة بالنساء ذوات المكانة كانت تقليدًا سياسيًا راسخًا.[10] وقد أُخفي خبر وفاتها عن صلاح الدين ثلاثة أشهر لشدّة تأثره المتوقَّع،[1] مما يدلّ على المكانة الرفيعة التي احتلّتها في نفسه.

---

(1) أبو شامة المقدسي، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1997م)، ج2، ص 190.
(2) سعيد الديوه جي، الموصل في العهد الأتابكي، مصدر سابق، ص 196.
(3) ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق، ج16، ص 231.
(4) ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر سابق، ج2، ص 398.
(5) Nikita Elisséeff, Nūr ad-Dīn, Op. Cit., Vol. 2, p. 720
(6) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج11، ص 8.
(7) المرجع نفسه، ج11، ص 35.
(8) ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق، ج16، ص 231.
(9) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج11، ص 120.
(10) أبو شامة المقدسي، الروضتين، مصدر سابق، ج2، ص 56.

مجلة محكمة تصدر عن جامعة ساوة الاهلية
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
العدد 4 No 4
تموز 2026 July 2026

ويُلاحَظ أنّ ابن الأثير، وهو المصدر الأقرب إلى الموصل والعصر الأتابكي، لم يُفرد لنساء البيت الأتابكي الموصلي تراجم مستقلة، وإنما جاء ذكرهنّ عرَضًا في سياق الأحداث السياسية والعسكرية. وهو ما قد يُفسَّر بأنّ المؤرخ كان يتعامل مع الأعراف السائدة في التأليف التاريخي، حيث لم يكن إفراد النساء بالتراجم أمرًا معتادًا إلا في كتب التراجم المتخصصة.

النشاط الاقتصادي للمرأة الموصلية

شهدت الموصل في العصر الأتابكي ازدهارًا اقتصاديًا ملحوظًا بفضل موقعها على طرق التجارة الرئيسة وكثرة حِرَفها ومصنوعاتها. وقد أسهمت المرأة الموصلية في هذا النشاط الاقتصادي عبر مجالات متعددة. ففي ميدان الحِرَف، كانت صناعة الأقمشة والنسيج من أبرز الحِرَف التي مارستها النساء في الموصل وإقليمها[2]. واشتُهرت الموصل، كما أسلفنا، بإنتاج الأقمشة الفاخرة التي كانت تُصدَّر إلى أسواق الشام ومصر والعراق، ومن المرجّح أنّ النساء شكّلن جزءًا أساسيًا من القوة العاملة في هذه الصناعة، وإن كانت المصادر لا تُصرّح بذلك مباشرةً.

أما في مجال الملكية العقارية، فقد أتاح الفقه الإسلامي للمرأة حقّ التملّك والتصرّف في أموالها، وثمة إشارات متناثرة في المصادر إلى نساء من الطبقات العليا كُنّ يمتلكن عقارات وأراضي ودورًا في الموصل وأطرافها.[3] وقد مكّنت الملكية العقارية بعض هؤلاء النساء من إنشاء أوقاف تدرّ ريعًا على المؤسسات الدينية والتعليمية، مما يكشف عن قدرة مالية واستقلالية اقتصادية لا يُستهان بها.

المرأة والأوقاف: الوقف بوصفه أداة تمكين اقتصادي واجتماعي

مثّل نظام الوقف في العصر الأتابكي إحدى أهمّ الآليات التي استطاعت المرأة من خلالها أن تُثبّت حضورها في الفضاء العام وأن تتجاوز القيود الاجتماعية التي حدّت من مشاركتها المباشرة في ميادين أخرى كالسياسة والقضاء. فالوقف أتاح للمرأة أن تمارس نوعًا من السلطة الاقتصادية والاجتماعية المقبولة شرعًا وعرفًا، إذ كانت الواقفة تشترط في حجّة الوقف شروطًا تتعلق بالإدارة والتوزيع وطبيعة المنتفعين، مما جعلها فاعلة في تشكيل المشهد التعليمي والخيري.[4]

ورغم أنّ المصادر المتاحة لا تزوّدنا بنصوص حجج أوقاف نسائية من الموصل الأتابكية تحديدًا، إلا أنّ النمط العام لأوقاف النساء في المدن الإسلامية المعاصرة كدمشق وحلب وبغداد يوفّر إطارًا للمقاربة. فقد وقفت نساء البيت الأيوبي والزنكي في دمشق مدارس ورُبُطًا وزوايا، وكانت وقفياتهنّ تنصّ في بعض الأحيان على تخصيص جزء من الريع لتعليم البنات أو إيواء النساء الفقيرات.[5] ويرجّح الباحث أنّ نموذجًا مشابهًا كان قائمًا في الموصل، بالنظر إلى التقارب الحضاري بين المدينتين في تلك الحقبة وانتمائهما إلى الفضاء السياسي ذاته.

وقد أسهم بدر الدين لؤلؤ (ت 657هـ/1259م) في أواخر العصر الأتابكي في تكريس تقليد الأوقاف بصورة واسعة في الموصل، وأنشأ عددًا كبيرًا من المؤسسات التعليمية والدينية.[6] ورغم أنّ المصادر تنسب هذا النشاط إليه بصورة شخصية، فإنّ من المحتمل أن تكون نساء بلاطه قد شاركن في جزء من هذا النشاط الوقفي دون أن يُسجّل ذلك صراحةً.

الخاتمة

ملخّص أبرز النتائج

أفضى هذا البحث إلى جملة من النتائج يمكن إجمالها فيما يأتي:

---

(1) Malcolm C. Lyons and D.E.P. Jackson, Saladin: The Politics of the Holy War, (Cambridge: Cambridge University Press, 1982), p. 135.

(2) سعيد الديوه جي، الموصل في العهد الأتابكي، مصدر سابق، ص 105.

(3) ابن الأثير، التاريخ الباهر، مصدر سابق، ص 142.

(4) علي محمد الصلابي، الدولة الزنكية، مصدر سابق، ص 435.

(5) ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر سابق، ج2، ص 400.

(6) ابن خلكان، المرجع نفسه، ج5، ص 176.

أولًا: تميّز المجتمع الموصلي في العصر الأتابكي بتنوّعه العرقي والديني والطبقي، وقد انعكس هذا التنوع على أحوال المرأة التي تفاوتت تفاوتًا كبيرًا بحسب الانتماء الطبقي والأسري. فنساء البيت الحاكم والأسر العلمية حظين بمساحة أوسع من الحركة والتأثير مقارنةً بنساء العامة اللواتي ظلّت أخبارهن غائبة شبه كامل عن السجلّ التاريخي.

ثانيًا: وظّف الأتابكيون المصاهرة السياسية بصورة مكثفة، فكانت المرأة في كثير من الأحيان أداةً لتوثيق التحالفات بين القوى المتنافسة. وتمثّل زمرد خاتون بنت جاولي وعصمت الدين خاتون بنت معين الدين أنر نموذجين واضحين لهذا التوظيف السياسي للزواج.

ثالثًا: أسهمت المرأة الموصلية في الحياة العلمية من خلال تلقّي العلم ورواية الحديث، وإن كان هذا الحضور العلمي لم يُوثَّق بالقدر الكافي في المصادر المتاحة. وقد اقترن النشاط العلمي للمرأة في الغالب بالتعليم الديني (القرآن الكريم والحديث النبوي) دون أن يمتدّ بصورة واضحة إلى علوم أخرى كالأدب والطبّ والفلسفة.

رابعًا: مثّل الوقف أبرز الأدوات التي تمكّنت المرأة من خلالها من إثبات حضورها في الفضاء العام الموصلي. فقد أنشأت نساء البيت الأتابكي ومحيطه مساجد ومدارس ووقفن عليها أوقافًا متنوعة، مما يكشف عن استقلالية مالية ورغبة في المشاركة في البناء الحضاري للمجتمع.

خامسًا: كشف البحث عن إشكالية منهجية جوهرية تتمثّل في شُحّ المادة المصدرية المتعلقة بالمرأة في المصادر التاريخية الأولية للعصر الأتابكي. فالمصادر الأساسية كـ"الكامل في التاريخ" و"التاريخ الباهر" لابن الأثير لم تُفرد للمرأة أبوابًا مستقلة، وجاء ذكرها عرَضًا ضمن أحداث سياسية أو عسكرية أو في سياق تراجم الرجال. وهذه الإشكالية ليست خاصة بالموصل وحدها، بل تمتدّ إلى أغلب الحواضر الإسلامية في العصور الوسطى.

التوصيات البحثية المستقبلية

يوصي الباحث بإجراء دراسات مستقبلية تتناول الموضوعات الآتية:

توسيع دائرة البحث لتشمل المرأة في سائر مدن الإقليم الأتابكي (حلب، سنجار، الجزيرة الفراتية) بما يتيح إجراء دراسة مقارنة بين أحوال المرأة في عواصم الدولة الزنكية المختلفة. كما ينبغي توجيه الاهتمام إلى الوثائق الوقفية المحفوظة في الأرشيفات العراقية والتركية والسورية، والتي قد تحتوي على معلومات ثمينة عن أوقاف النساء في الموصل خلال تلك الحقبة. ويُستحسن أيضًا إجراء دراسات تستند إلى المنهج المقارن بين أحوال المرأة في الموصل الأتابكية ونظيرتها في حواضر إسلامية معاصرة كبغداد ودمشق والقاهرة، للكشف عن أوجه التشابه والاختلاف في مكانة المرأة ودورها. وأخيرًا، تستحقّ العلاقة بين التقاليد التركية والأعراف العربية المحلية في تشكيل وضع المرأة الموصلية دراسة أعمق وأوسع تتجاوز ما أتاحته حدود هذا البحث.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية

- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق: عبد القادر أحمد طليمات، (القاهرة: دار الكتب الحديثة، 1963م).
- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1997م).
- ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، 1977م).
- ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: عمر العمروي، (بيروت: دار الفكر، 1995م).
- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (القاهرة: دار هجر، ط1، 1997م).
- أبو شامة المقدسي، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1997م).
- سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزأوغلي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: إبراهيم الزيبق، (دمشق: دار الرسالة العالمية، ط1، 2013م).
- عماد الدين الأصفهاني، محمد بن محمد، خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء العراق، تحقيق: محمد بهجة الأثري وجميل سعيد، (بغداد: المجمع العلمي العراقي، 1955م).
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله، معجم البلدان، (بيروت: دار صادر، 1977م).

ثانياً: المراجع العربية

- الديوه جي، سعيد، الموصل في العهد الأتابكي، (الموصل: مطبعة الجمهور، ط2، 1982م).
- الصلابي، علي محمد، الدولة الزنكية ونجاح المشروع الإسلامي بقيادة نور الدين محمود الشهيد في مقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، (بيروت: المكتبة العصرية، 2007م).

ثالثاً: المراجع الأجنبية

- Elisséeff, Nikita, Nūr ad-Dīn: Un Grand Prince Musulman de Syrie au Temps des Croisades (511-569 H./1118-1174), (Damascus: Institut Français de Damas, 1967).
- Lyons, Malcolm C. and D.E.P. Jackson, Saladin: The Politics of the Holy War, (Cambridge: Cambridge University Press, 1982).